أهمية الذكر في تزكية النفوس وغداء الروح ورفع الدرجات (2)

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم.

إخوةالإيمان

نحن اليوم مع تتمة لخطبة الجمعة الماضية، نحن بمشيئة الله وتوفيق منه سبحانه وتعالى مع تتمة لأهمية الذكرفي تزكية النفوس وغداء الروح ورفع الدرجات، أحب الكلام إلى الله الباقيات الصالحات، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أي مِن أَفضَلِ الأَذكَارِ التَّهليل والتَّسبِيحُ وَالحَمدُ وَالتَّكبِيرُ. يَقُولُ صلى الله عليه وسلم: **أَحَبُّ الكَلاَمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أربَعٌ، لاَ يضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْت: سُبحَانَ اللَّهِ، وَالحَمدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكبَرُ** [رَوَاهُ مُسلِمٌ] وعن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **لأن أقول سُبحَانَ اللَّهِ، وَالحَمدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أكبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَت عَلَيْهِ الشّمسُ، ومن فضائل التسبيح: أنه غراس الجنة.**

روى الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبةُ التربة، عذبةُ الماء، وأنها قيعان، -وهي الأرض المستوية الخالية من الشجر-وأن غراسها ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.** وَمِن أَطيَبِ الأَذكَارِ أيضا: الاستغفار، أي استِغفَارُ اللَّهِ تَعَالَى. قالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى: **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** [النساء] **وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَستغفرون.** [الانفال] أماناً عظيماً للمؤمنين من العذاب، حيث يؤكدالقرآن أن الاستغفار الصادق يدفع البلاء ويمحو الذنوب التي قد تستوجب العقاب.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **قال الله تعالى: يابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أبالي، يابنَ آدمَ لوبلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ، ولا أبالي، يابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشركُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً** [صحيح الترمذي]

لقد جاء هذا الحديث ليزفّ إلى الناس البشرى. فرحمة الله واسعة، وفضله عظيم، لا يقف عند حدّ، ولا يحصيه عدّ، فغدا هذا الحديث إبهاجا للتائبين، وأملاً للمذنبين، وفرصة لمن أسرف على نفسه بالمعصية، أو فرّط فيما مضى من حياته. اللهُ عزَّوجلَّ هو أرحمُ الرَّاحِمين، يغْفِرُ الذُّنوبَ للعاصِي والمذْنبِ منْ عبادِه مهما بلَغَت، لكنْ بشرطِ أنْ يكونَ هذا العبْدُ مُوحِّدًا لربِّه لا يُشْرِكُ به شيئًا.

فكلُّ ذنْبٍ تحْتَ مشيئةِ اللهِ تعالى فيغْفِرُ لِمنْ يشاءُ، إلَّا الشِّركَ .فإنَّ اللهَ تعالى لا يَغْفِرُه إذا ماتَ الإنسانُ عليه ولَقِيَه به، لأنَّه سبحانه وتعالى واسِعُ المغفرةِ، يغفِرُ كلَّ شيءٍ دونَ الشِّركِ؛ كما قال سبْحانَه: **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُمَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** [النساء]

وقال العُلماءُ: إنَّ غُفرانَ الكبائرِ للمُؤمِنين يَحتاجُ إلى توبةٍ، أو إنَّ أمْرَها بيَدِ اللهِ سبحانه، إنْ شاء عَفا عَنها وإن شاء عاقَب عليها، وكذلك حُقوقُ الخَلقِ؛ فإنَّه لا بدَّ مِن رَدِّها، أو يُجازي اللهُ بفَضلِه صاحبَ الحقِّ ويَعْفو بكَرَمِه عن المذنِبِ فيها.

ثم إن أعظم أسباب المغفرة وأجلّها تحقيق جوانب التوحيد، والإتيان به على أكمل وجه. وقد أخبرنا ربنا بذلك في كتابه حينما قال: **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** [الأنعام]

فامتدح ربنا من كان إيمانه نقيّا خالصا من عوالق الشرك، وبشّرهم بالسلامة من دخول النار، ولا عجب في ذلك، فإن الذنوب كلَّها تتصاغر أمام عظمة التوحيد، ومِن ثَمّ تكفّل الله تعالى لمن لم يشرك به شيئاً أن لا يعذّبه، كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه: **وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يُشرك به شيئاً** [رواه البخاري] وَسيد الاستغفار ما رَوَاه البُخَارِيُّ عَن شَدَّادِ بنِ أَوسٍ رضي الله عنه، أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **سَيِّدُ الِاستِغفَارأن تَقُولَ: اللَّهُمَّ أنتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أنتَ، خَلَقتَنِي وَأنَا عَبدُكَ، وَأنَاعلىَ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا استَطَعتُ، أعُوذُ بِكَ مِن شَرِّمَا صَنَعتُ، أبُوءُ لَكَ بِنِعمَتِكَ عَلَيَّ، وَأبُوءُ لَكَ بِذَنبِي فَاغفِر لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أنتَ.** مَن قَالَهَا في الصباح مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِن يَومِهِ قَبلَ أَن يُمسِيَ، فَهُوَ مِن أَهلِ الجَنَّةِ، وَمَن قَالَهَا في المساء وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبلَ أَن يُصبِحَ، فَهُوَ مِن أَهلِ الجَنَّةِ.

فالمطلوب من المؤمنين المواضبة عليها صباحا ومساء، وَمِن أَفضَلِ الذِّكرِ وَأَحَبِّهِ إِلَى اللَّهِ: **الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم**، بل هي من أعظم القربات وأحب الأعمال إلى الله، فهي سبب لمغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، وتُدخل العبد في شفاعة النبي يوم القيامة، روى أبو داود، وأحمد، بإسناد صحيح عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُواعَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، قَالُوا: يَارَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ أَرِمْتَ -أي بَلِيتَ - فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ علىَ الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ.**

وفي رواية: **إِنَّ مَلَكًا مُؤَكَّلٌ بِمَنْ صَلَّى علىَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَلِّغَ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فُلَانًا بن قلان مِنْ أُمَّتِكَ صَلَّى عَلَيْكَ.**

وسأخصص إن شاء الله خطبة في فضائل الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصيغِها.

خطبة الجمعة ليوم 12 يونيو 2026 م